

أضواء البيان

@ 295 . بَيِّنْ جَلَّ - وعلا أن العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون غير

مكتفين بتكذيبه ، بل جامعين معه الاستهزاء . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ } ، نص صريح في تكذيب الأُمة لجميع الرسل لما تقرر في الأصول ، من أن النكرة في سياق النفي إذا زيدت قبلها { مِّن } ، فهي نص صريح في عموم النفي ، كما هو معروف في محلّه . .

وهذا العموم الذي دلَّت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات أخر ، وجاء في بعض الآيات إخراج أُمّة واحدة عن حكم هذا العموم بمخصّص متّصل ، وهو الاستثناء . .

فمن الآيات الموضحة لهذا العموم ، قوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَدَرِّفُوهَا إِنْ زَلَّ بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } ، وقوله تعالى : { وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَدَرِّفُوهَا إِنْ زَلَّ وَجَدْنَاهَا عَابِدِينَ عَلَى الْأُمِّةِ وَإِنْ زَلَّ عَلَى } ، وقوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَيْدِي سَاءَ وَالضَّرَّاءُ } ، إلى قوله : { فَأَخَذْنَا هُمْ بِغَوْتَةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } . .

وقد قدّمنا الكلام على هذا في سورة (قد أفلح المؤمنون) ، في الكلام على قوله تعالى : { ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ } . .

وقدّمنا طرفاً من الكلام عليه في سورة (الأنعام) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَّابِرَ مُجْرِمِيهَا } . .
وأمّا الأُمّة التي أُخرجت من هذا العموم فهي أُمّة يونس ، والآية التي بيّنت ذلك هي قوله تعالى : { فَلَوْلَا كَانَ تِيقَانُ قَرْيَةٍ إِذْ مَنَعَتْهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا اللَّهَ الْخَيْرَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ } ، وقوله تعالى : { وَأَرْسَلْنَا هُ إِلَى مِيَاوَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَذُكِّرُوا * فَمَتَّعْنَاهُمْ } ، والحسرة أشدّ الندامة ، وهو منصوب على أنه منادى عامل في المجرور بعده ، فأشبه المنادى المضاف . .
والمعنى : { خَامِدُونَ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ } تعالي واحضري فإن الاستهزاء بالرسول هو أعظم الموجبات لحضورك . { وَءَايَةٌ لَهُمُ الْآسُفُ الرَّهْمِيَّةُ } ، إلى

قوله : { أَفَلَا يَشْكُرُونَ } .